مقارنة جهود ابن حزم الصوتية بالدراسات الصوتية الحديثة

إعداد أ. محمد بوعلي
وحدة البحث تلمسان

الملخص:

استوعب ابن حزم الكثير من خصائص الصوت اللغوي ودرس مكوناته وتطرق إلى جهاز النطق، واكتفى بما يخدم طرحه العلمي ومع ذلك وافق طرحه المحدثين في العديد من القضايا. ويأتي هذا المقال ليحدث مقارنة بين جهوده وما جاء به المحدثون.
الكلمات المفتاحية: ابن حزم، المحدثون، المقارنة، الترتيب، الأصوات.

Abstract :

Ibn Hazm has accommodated a lot of linguistic sound characteristics and studied its constituents by tackling the Pronunciation Device.He was only sufficient with what serves his scientific research.Thereby, numerous Modernists have agreed on his substract among various issues.This article comes to make a comparison between his efforts and what modernists reach.

Key-words :
Ibn Hazm, Modernists, Comparison, Arrangement, Voices(Sounds)

1- تمهيد:

لقد أحاط اِبن حزم بأصول المعرفة عند غيره من المفكرين الذين سبقوه واِهتم كثيرًا بعلوم عصره وعايش الأحداث المطروحة فاِتخذ لنفسه منهجًا يقدس فيه العقل، جرَّه إلى اِتباع المذهب الظاهري الذي بدأه داود بن علي الأصفهاني بالعراق فتعامل مع النص كما هو وواجه الوقائع مهما تعددت وتعقدت، وقد جرته ظاهريته الفقهية إلى الاهتمام بالجوانب اللغوية فجاءت مؤلفاته حافلة بمجهودات في المجال المعجمي والنحوي والبلاغي والصَّرفي.

وأما جهوده الصوتية التي نحن بصدد تجليتها فقد اِرتبطت بالمادة اللغوية في عمومها ولذلك جاءت محدودة كما بينت سابقا، ولم يخرج فيها عن اِجتهادات سابقيه.

اِعتمد اِبن حزم في حديثه عن الأصوات إلى ما خلص إليه علماء العربية وإلى مشاهداته للواقع اللغوي في بلاد الأندلس وإلى حسِّه العقلي، فتحدث عن الأصوات من جوانبها الوظيفية وميز بين ما يحقق فائدة وما لا فائدة منه، ثم كشف عن جهازي التصويت والسَّمع دون أن يوغل في الوصف والتعمق لأن مدار الأمر عنده هو الجوانب الوظيفية لأعضاء هذين الجهازين.

لم يقدم اِبن حزم دراسات معمقة في المجال الصوتي ولم يجنح إلى تفاصيل واضحة، غير أن المعلومات المتناثرة في مؤلفاته تكشف مدى تنظيم وترتيب المعطيات الصوتية وفق طبائعها العلمية، وقد أبدى قدرة فائقة في إحاطته بعناصر جهاز التصويت.

2- جهاز التصويت كما حدده اِبن حزم ووصفه المحدثون:

جمع اِبن حزم في حديثه عن اِنشاء الأصوات وإيصالها إلى المتلقي بين جهازي التصويت والسَّمع، ولم يلجأ إلى الشرح والتحليل، وإنما ذكر ذلك إجمالا فجاء ترتيبه لأعضاء جهاز التصويت تصاعديا بدءً بالصدر ثم الحلق فأنابيب الرئة والحنك ثم اللّسان فالشفتين وأخيرا الأسنان.

ولا نعتقد بأن لهذا الترتيب ما يبرره علميًا فأعضاء النطق ـ كما قال ابن حزم في موطن آخر ـ لا يستقل كل عضو منها بصوت وإنما تتداخل وظائفها وتشترك في صناعة الأصوات، ويتضح ذلك أكثر في قوله: «وهيَّأ لها الهواء المندفع بقرع اللّسان إلى صُمُغ الآذان»[1] فقد أدرك أهمية وظيفة هذا العضو في صناعة الأصوات واِتصاله ببقية الأعضاء وهذا ما أكدته الدراسات الصوتية الحديثة التي ذهبت إلى أن تنشئة الأصوات اللغوية مردها أساسا إلى اللّسان.

أ- ترتيب اِبن حزم لأعضاء النطق:

رتب ابن حزم أعضاء جهاز النطق بدون شرح ولا ذكر لحدها ولم يشر إلى أدوارها، فجاءت عنده كالآتي:

الصدر (ويقصد الرئتين) –الحلق -أنابيب الرئة –الحنك –اللّسان –الشفتان –الأسنان.

ب- ترتيب المحدثين لأعضاء النطق:

-الشفتان –الأسنان –الحنك –اللّسان -الحلق –المزمار –الحنجرة -الأوتار الصوتية -التجويف الأنفي - الرئتان.

وبذلك يكون المحدثون قد رتبوا من الأعلى إلى الأسفل خلافا لابن حزم الذي رتب من الأعمق إلى الظاهر.

ج- طبيعة جهاز التصويت عند المحدثين:

لم يخرج العلماء المحدثون كثيرا على ما أورده العلماء العرب القدماء ومنهم ابن حزم عن تحديد أعضاء جهاز التصويت، فإذا كان ابن حزم قد اكتفى بالأعضاء الرئيسية الفاعلة دون التطرق إلى مزيد من الشرح في مجال أداء وظائفها المتعددة البيولوجية والنطقية، فقد قسم العلماء المحدثون أعضاء النطق إلى نوعين:

أولا: الأعضاء الثابتة وهي: الأسنان العليا واللّثة والغار (الحنك الصلب) والجدار الخلفي للحلق.

ثانيا: الأعضاء المتحركة وهي: الشفتان واللّسان والطبق واللهاة ولسان المزمار (يتحرَّك بتحرُّك اللّسان) والحنجرة والرئتان والقصبة الهوائية.

ويبقى أن نذكر أن العلماء المحدثين سموا هذه الأعضاء بأعضاء النطق نظرا لوظيفتها الظاهرة، فلهذه الأعضاء وظائف بيولوجية متعددة وهي ذات أهمية قصوى لبقاء الإنسان على قيد الحياة.

د- وظيفة أعضاء النطق في إحداث الصوت بين اِبن حزم والمحدثين:

شرح المحدثون دور أعضاء النطق في إحداث الأصوات اللغوية وهذا ما لم يتطرق إليه ابن حزم ولعله كان يدرك أن ذلك واقع بالضرورة وفيما يأتي دور كل عضو من الأعضاء.

1- الشفتان: تتحركان بحرية في كل اِتجاه وتتخذان أوضاعا مختلفة عند النطق بالأصوات، فتنطبقان اِنطباقاً تامًّا يمنع مرور الهواء وتنفرجان، فيندفع من ثمة الهواء منفجراً محدثاً صوتاً اِنفجارياً وتستدير كما يحدث في الضمّة وتنفرجان كما يحد في الفتحة. وتختلف عادات البشر في اِستغلال حركة الشفتين والانتفاع بها فمن الشعوب من تتميز عادات النطق لديهم بكثرة الحركة ومنهم من يقصد في ذلك[2].

2- الأسنان: خصها اِبن حزم بالذكر دون إبرازٍ لأنواعها وأقسامها، وفصَّل العلم الحديث صفاتها وطبائعها وعدَّدَ وظائفها في اِنتاج الأصوات وهي منَ الأعضاء الثابتة غير أن الفك الأسفل يتحرَّك، ولا تنتج الأسنان الأصوات بمفردها وإنما تشترك مع اللّسان أو الشفة السفلى[3].

3- الحنك: وهو المقابل للسان من أعلى الفم ولا يقوم سقف الحنك بإنتاج الأصوات بمفرده، وإنّما بالاشتراك مع اللّسان وينقسم إلى أربعة أقسام: اللّثة والغار والطبق وهو سقف الحنك الرخو واللهاة وهي عضو متحرك تنتج الأصوات بمساعدة مؤخرة اللّسان.

4- اللّسان: رتَّبه اِبن حزم في المرتبة الخامسة شأنه في ذلك شأن العلماء المحدثين وذلك من باب التدرّج نحو الأبعد وهو من أهم أعضاء النطق باتفاق القدماء والمحدثين ويتكون من عدد كبير من العضلات التي تمكنه من الحركة والإمتداد والانكماش والتَّلوِّي إلى الأعلى أو الخلف، وقد مكنته هذه الأوضاع من الإتصال بأية نقطة من الفم، قسّمه العلماء المحدثون إلى ثلاثة أجزاء:

أ- مقدمة اللّسان، ب- وسط اللّسان، ج- مؤخّرة اللّسان.

5- الحلق: ذكره اِبن حزم مباشرة بعد الصدر في قوله: «مكَّن الحكيم القادر لها المخارج من الصدر والحلق...» [4] فعمق الحلق مقارنة بالأعضاء الظاهرة جعل اِبن حزم يرتبه بعد الصدر الذي يصدر عنه الهواء المندفع وحددت الدراسات العلمية الحديثة موقعه بالضَّبط، فهو «يقع بين الحنجرة وأقصى الحنك، وهو عبارة عن تجويف في الخلف من اللّسان يحدُّ به، وربما يسمَّى الحائط الخلفي للحلق من الخلف، والحائط الخلفي ليس إلاّ عظام العنق مغطاة بما يكسوها من اللّحم»[5].

6- الرئة: وقد عبر عنها اِبن حزم بقوله: «وأنابيب الرئة» وهو وصف على جانب كبير من الدقة والصحة ففي الرئتين تجاويف هي بمثابة أنابيب ناقلة للهواء الذي يبعث الحياة في الجسم، ويدفع الهواء ماراً بالقصبة الذي يتسبب في حدوث الأصوات، وتعد الرئتان «مخزنا للهواء تتحركان تمدداً وإنكماشاً بحسب حركة الحجاب الحاجز الموجود تحتهما أسفل الصدر»[6]، وبغير الرئتين لا تتم عملية النطق ولا تتم عملية التنفس بل ولا تكون الحياة.

7- الوتران الصوتيان: لم يشر إليهما اِبن حزم ويسميها البعض بالحبال الصوتية «وهما عبارة عن رِبَاطَين من العضلات مرنين يشبهان الشفتين ويتصل بهما نسيج يقعان متقابلين على قمة القصبة الهوائية ويمتدان بشكل أفقي من الخلف إلى الأمام وعند ذلك يلتقيان بالبروز المسمى بتفاحة آدم، وقد تعمق المحدثون في دراستهما فحددوا طولهما البالغ حوالي 22 إلى 27 ملم وهما عند الرجال أطول من النساء ويتسمان بالغلظة والمتانة عند الرجال في حين يتسمان بالرقة عند النساء والأطفال غير البالغين»[7].

3- خلاصة المقارنة بين ما جاء به ابن حزم وما قدمه المحدثون في جهاز النطق:

بعد أن قدمنا ما ذكره اِبن حزم من أعضاء النطق وما ذكرته الدراسات الصوتية الحديثة فإننا نلحظ أن اِبن حزم اِكتفى بذكر الأعضاء متحدثا عن وظيفتها في الإنجاز الصوتي اللُّغوي بصفة عامة، أشار إلى ذلك في بداية حديثه من أنها تحدث إيقاع الكلمات، ولم يذكر الحنجرة ولا الوتران الصوتيان ولا التجويف الأنفي، على طريقة علماء الأصوات القدماء من أمثال الخليل وسيبويه واِبن جنِّي باستثناء اِبن سينا الذي قدَّم وصفا تشريحيا للحنجرة فذكر غضاريفها ودورها في التَّصويت.

إن المتصفح لجهود اِبن حزم اللغوية المتناثرة في مؤلفاته[8] يلحظ أنه كان يذكر الجوانب الصوتية عرضًا عندما تفرض عليه القضية العلمية التي يكون بصدد عرضها وتحليلها والدفاع عنها، لقد كان اِبن حزم يهتم في بداية حياته بالبحث اللّغوي وسرعان ما تحول إلى عالم فقه حمل لواء مذهب ودافع عنه دفاعًا مستميتا ولاقى من أجله الأتعاب ومما لا شك فيه أن اِبن حزم قد اِستفاد كثيرا من علماء آخرين ومفكرين سبقوه في مختلف أجناس العلم والمعرفة وربما كان من أبرزهم تأثيرا في فكره الفلاسفة اليونان والعرب الذين تعددت معارفهم وتنوعت لديهم العلوم من فكر وفلسفة وفقه وأدب ولغة، بيد أن اِبن حزم حاول أن يتناول معارفه بمنهج يخصه برزت من خلاله شخصيته التواقة إلى العلا والطامحة إلى تسجيل اِسمه في سجل العظماء.

4- مفهوم الصوت بين اِبن حزم وعلماء الأصوات المحدثين:

أ- تمهيد:

يبدأ اِبن حزم في حديثه عن الصوت البشري بتطبيق منهجه الذي يعتمد على ملاحظة الظاهر، ووصف الظاهرة كما هي، فهو يقسم الصوت قسمين.

الصوت الذي يؤدي وظيفة وهو الذي يدل على معنى وهذا ما ينبغي الإهتمام به والإشتغال به والصوت الذي لا يحصل لنا منه فائدة نفهمها، وهذا ما لا ينبغي العناية به، وقد راح يفسر ذلك، وهذا ما أوردناه في الفصل الثاني من هذه المذكرة[9].

لقد اِنطلق اِبن حزم في تعريفه للصوت من معارفه الفلسفية حول طبيعة اللغة عند الإنسان، أهي وقف أم مواضعة أم تقليد لأصوات الطبيعة، وبعد أن ذكر جميع أعضاء النطق، مثل الفم والشفتين والأسنان واللّسان والرئة وهي معروفة للجميع ولذلك فإنها يمكن أن تدرس وتوصف ويتحدث عن نشاطها.

شرع في ترسيم مشاهداته وملاحظاته فجاء حديثه عن الصوت البشري ملامسا لما يعرف عند الدارسين المحدثين بعلم الصوت النطقي (الفسيولوجي) الذي يعني بدراسة أعضاء النطق من أجل اِنتاج أصوات الكلام أي أنه يهتم بعملية اِنتاج الأصوات، وطريقة هذا الإنتاج.

ويعدُّ علم الأصوات النطقي من أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدمًا وأكثرها حظًّا من الإنتشار في البيئات اللغوية كلها، فهو يدرس نشاط المتكلِّم بالنظر إلى أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات، فيعين هذه الأعضاء، وما يعرض لها من حركات، ويحدد وظائفها ودور كل منها في عملية النطق[10].

وقد كانت هذه الدراسات الصوتية في القديم مبنية في أساسها على هذا الجانب النطقي، بوصفه الوسيلة المتاحة، التي يمكن الإعتماد عليها في زمن لم تتوفر فيه الآلة و الأجهزة الفنية التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي[11].

ب- الصوت السمعي عند اِبن حزم:

عبّر اِبن حزم عن الصوت السمعي بعد أن صدر من المرسل بقوله: «وهيأ لها الهواء المندفع بقرع اللسان إلى صمغ الآذان فتوصل بذلك نفَس المتكلم مثل ما قد اِستبانته واِستقرَّ فيها إلى نفس المخاطب وتنقله إليها بصوت مفهوم بقبول الطبع منها للغة اِتفقا عليها فتستبين من ذلك ما قد اِستبانته نفس المتكلم، ويخرج إليها بذلك مثل ما عندها لطفاً من اللطيف الخبير»[12].

واضح أن اِبن حزم رسم القناة التواصلية التي تربط بين:

المرسل المرسل إليه ثم تَحْدُثُ الأصوات الصادرة عن جهاز النطق صوب جهاز السمع، والرسالة التي هي محور العملية التواصلية، وهذا تقدُّم في الفهم نلاحظه عند اِبن حزم وقد اِستعمل مصطلح "الصمغ" ليعبر به عن جهاز السمع ومعلوم أن الصمغ في الأذن هو الموطن الحقيقي الذي يستقبل الصوت ويوجهه إلى المخ لتفسيره.

لقد اِعتمد اِبن حزم على الملاحظة الذاتية المباشرة في الحديث عن علاقة النطق بالسمع، فتوصل إلى تحقيق نتائج ملموسة والفضل يرجع إلى حسّه المرهف فحدد العلاقة العلمية بين المرسل والمتلقي وقد طابقت أراؤه ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة شأنه في ذلك شأن العلماء العرب القدامى.

ج- الصوت السمعي عند علماء الأصوات المحدثين:

توصل العلماء في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة إلى تخصيص علم يدرس الجانب السمعي سمي بعلم الأصوات السمعي، ويعد أحد فروع علم الأصوات وهو ذو جانبين:

1- جانب عضوي فسيولوجي physicological

2- جـــانب نفســـــــــي psychological

فالجانب الأولى حددوا بموجبه أعضاء جهاز السمع والتي تحدثنا عنها سابقا[2] والتي لفتت بال اِبن حزم أثناء حديثه عن جهاز النطق واِستقبال الأصوات اللغوية لدى المتلقي.

والملاحظ في الدرس الحديث أن العلماء ما زالوا غير راضين على النتائج المحققة في هذا الفرع من علم الأصوات نظرا لحاجته إلى متخصصين في علم النفس الإدراكي من ناحية أخرى[13].

ويذكر روبنس مجموعة من الصعوبات التي تواجه الباحثين اللغويين في مجال هذا العلم وهي:

* اِنتشار الموجات الصوتية على طبقة الأذن ووقع هذه الموجات على أعضاء السَّمع شيء لا يمكن إدراكه، إلا بواسطة أجهزة خاصة، وفي حال الاستعانة بهذه الأجهزة فيما لو أتيحت للغوي، سوف نجد أنفسنا في النهاية غير قادرين على إدراك العملية السمعية، باستثناء عملية سماع الأصوات بوصفها ضوضاء لا أكثر ولا أقل.

* عملية السَّماع لا يمكن التحكم فيها، فليس الانسان بقادر على وقف هذه العملية واِستئنافها حين يشاء، على عكس عملية النطق التي يستطيع المتكلم أن يتحكم فيها بالقطع والاستئناف متى شاء.

* ما يجري في الجهاز السمعي وكثير من أعضائه أشياء بعيدة المنال بالنسبة للعين المجرّدة، وكذلك الحال بالنسبة للملاحظة الناتجة عن اِستعمال ذلك النوع من الأجهزة والآلات التي يحتمل أن تتاح للباحث اللغوي العام[14].

أمَّا فندريس Vendrys فإنه يرى أن الصور السَّمعية التي يستقبلها السَّامع، ليس لها أي قيمة، إلا على أساس أنَّ هذا السامع لديه القدرة على تحويلها إلى صور نطقية فعلية، ومن ثم يمكن أن يكون متكلِّما هو الآخر، وبمعنى آخر إنّ السامع متكلم بالقوة، إذن هو يمتلك ما حوَّله المتكلم إلى أحداث نطقية واقعية وبهذا يمكن الاستغناء عن علم الأصوات السمعي[15].

د- الكلمة صوت عند اِبن حزم:

اِنطلق اِبن حزم في تعريفه للكلمة من الجانب المنطوق للغة إيمانا منه بأن الجانب الصوتي قبل الرسم الإملائي، فالكتابة سلوك حضاري أعقب الجانب الشفهي للغة، يقول في تعريفه للاسم والفعل: «الاِسم صوت موضوع باِتفاق لا يدل على زمان معين، وإن فرقت أجزاؤه لم تدل على شيء معين»[16]،

وبهذا التعريف يكون قد ربط الصوت بالدلالة وميزه عن الفعل والحرف وأوضح أنه مركب من أصوات وهاته الأصوات التي سماها أجزاء فإنها لا تحمل دلالة، وبذلك يكون قد لامس تعريف المحدثين إلى حد بعيد.

وقال في شأن الفعل: «وقال الأوائل، إنه يدل على زمن مقيم لأنك تقول صحَّ يصحُّ وهذه الكلمة صوت موضوع باتِفاق أيضا على ما قدمنا في الاسم لا يدل بعض أجزائها على معناها إلا أنها تدل على زمان مقيم كما ذكرنا»[17]، واضح أن اِبن حزم كان مطّلعا على تعاريف النحاة الأوائل للفعل وقد صرح بكامل العبارة دون أن يذكر عالما من علماء العربية، وبيَّن أنهم ربطوا الفعل بالزمن خلافا للاسم، وقد أكَّد هذا الرأي في النهاية.

إن الفعل عند اِبن حزم صوت جاء بالاتفاق ليحمل دلالة وإن قسمت أجزاؤه أي فونيماته فإنها لا تحمل دلالة، وقدم لذلك أمثلة.

هـ- الكلمة عند علماء الأصوات المحدثين:

إعتاد النحاة القدامى أن يقدموا لدراسة النحو العربي بباب "الكلام وما يتألَّف منه" فيعرفون الكلام والكِلَم والكلمة، وهو مبحث كثر فيه التفسير والتحليل، وأن صنيعهم هذا كان يستخدم المستوى الصوتي والمعطيات الصرفية المختلفة في التحليلات المتنوعة، إلا أن المحدثين جنحوا إلى تقسيم النشاط اللغوي إلى مستوياته بدءًا بالمستوى الصوتي ثم المستوى الصرفي فالمستوى النحوي ثم المستوى الدلالي، وبذلك تعدد تعريف الكلمة في كل مستوى، فللكلمة في المستوى المعجمي مفهوم وفي المستوى النحوي مفهوم، وهل نعتبر المباني الصرفية التي تتحقق بها الظواهر الموقعية وكذلك اللواصق الصرفية أجزاء كلمات أم نعتبرها كلمات مستقلة.

وللحديث عن الكلمة لابد أن نفرق بين اللغة وبين الكلام، فاللغة مجموعة من الأنظمة والعلاقات بينما الكلام هو النطق بحسب قواعد هذه الأنظمة والعلاقات.

«إن الكلمة هي صورة صوتية مفردة في ذهن المجتمع، أو هي صورة وحين يلتقطها المتكلم يحولها من الصورة إلى الحقيقة الحسية سمعيا من الأفراد (وهو طابع المعجم) إلى السياق الاستعمالي وهو طابع الكلام»[18]، وعندما يتحرك اللسان وينطق الكلمة تتحول إلى لفظ، فهناك إذن فرق ما بين الكلمة واللفظ وهو فرق ما بين اللغة والكلام فاللغة صامتة وسكون والكلمة حس وحركة[19].

وهذا هو أحد أوجه الاعتراض على من عرّف الكلمة بأنها: «اللفظ المفرد» "أو لفظ وضع لمعنى مفرد" لأن هذا التعريف يغفل عن حقيقة الفرق بين الكلمة وبين اللفظ، وقد حاول بعض النحاة أن يعرف الكلمة بأنها "قول مفرد" على أن هذا التعريف لا يختلف عن الأول بل وقد يعقد الأمر لأن القول قد يكون في أكثر من لفظ واحد، «وتقاليد التحليل في اللغة العربية تجعل من مقول القول دائما في صورة جملة»[20].

لذلك يمكننا الجزم بأن اِبن حزم كان قد وقف على هذا الجدل فأورد تعريفه الذي نصَّ أن الاسم ـ الذي هو كلمة طبعاً ـ عبارة عن صوت له معنى وأن جزءه لا يدل على معنى، وفي هذا يكون قد اِقترب من تعريف المحدثين الذين جاؤوا بمصطلحات المونيم monème واللكسيم lexem والفونيم phonème .

و- التنظيم الفونيمي في اللغة العربية بين اِبن حزم وعلماء الأصوات المحدثين:

قد لا أكون مبالغا إذا قلت أن اِبن حزم حينما قال: «... وإن فرقت أجزاؤه لم تدل على شيء معين»[21] فقد كان يقصد بالأجزاء إما الحروف وما دام حديثه في الصوت فربما كان يقصد الأصوات المجزءة الصغرى وهو ما عرف عند علماء الغرب المحدثين بالفونيمات.

«والفونيم هو أصغر وحدة لغوية غير قابلة للتقسيم لا تحمل أي دلالة وفونيمات اللغة تشكل فئة من العناصر اللغوية المتمثلة في عقل كل أعضاء المجتمع اللغوي»[22]، ويشير العلماء إلى وظيفة الفونيم في تركيب اللغة وفي التمييز بين كلماتها ومنهم ترو بتسكوى الذي يرى أن الفونيم هو أصغر وحدة لغوية التي تستطيع بطرق التبادل أن تميز كلمة من كلمة أخرى، وهو يعرِّف الفونيم بأنها: الوحدات الصوتية التي يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من وجهة نظر اللغة المعينة التي يقوم الباحث بدراستها. وهو

يقرر بأن الفونيمات علامات مميزة، ولا يمكن تعريفها إلا بالرُّجوع إلى وظائفها في تركيب كل لغة على حدة[23].

ويعرف علماء مدرسة لينجراد الفونيم على أنه النموذج الصوتي الذي له القدرة على تمييز الكلمات وأشكالها، أو أنه عبارة عن الصور الصوتية المستقلة التي تميز الكلام المعبر عن غيره من الأحداث الأخرى[24].

5- الخلاصة:

لقد أعمل اِبن حزم منهجه الظاهري في جميع مناحي معارفه التي أوردها في كتبه، فعالج الجوانب الصوتية على أساس أنها المظهر الأول في اللّغة فتحدث عن جهاز النطق الذي به تتم صناعة الأصوات اللغوية اِنطلاقا من مخارجها، ثم تحدث عن طبيعة الصوت اللغوي فقسمه إلى دال وغير دال، فأهمل مالا يؤدي وظيفة دلالية واِعتنى بالجانب الأول فجاء حديثه عن الكلمة وأقسامها مطابقا لما اِتفق عليه القدماء والمحدثون.

وهكذا جاء اِجتهاد اِبن حزم مثمراً فقد سار في عرض معارفه معتمداً على المنقول الذي أخذه عن سابقيه وعلى المعقول الذي محص به الظواهر اللّغوية معتمداً على المشاهدات والتجارب والملاحظات. ويمكن حصر النتائج في النقاط الآتية:

أ- عرف اِبن حزم طبيعة الصوت البشري وقسمه إلى دال وغير دال وأهمل مالم يدل وراح يدرس الأصوات الدالة.

ب- تعرض لعملية اِنتاج الكلمة فوصف جهاز النطق ذاكرا أهم مكوناته.

ج- تحدث عن عملية اِستقبال الصوت وخص جهاز السمع بالحديث.

د- اكتفى اِبن حزم بتسمية أعضاء جهاز النطق أثناء حديثه عن مخارج الأصوات وطبيعة اللغة، بينما يحرص دارسو الأصوات من المحدثين على تخصيص فصل في صدر أبحاثهم الصوتية لوصف وشرح أعضاء آلة النطق.

هـ- غير أن عدم ذكر اِبن حزم لأعضاء آلة التصويت على نحو ما هو في الدراسات الحديثة هذا لا يعني أنه لم يكن واعيا بوظيفة هذا الجهاز، وربما سكت عن ذكره لأن العمل يتوفر إلى مختص عارف باللغة ومخارج الأصوات وما يتعلق بها في أعضاء النطق، سماها القدماء بالأصول الذي ينبغي أن يكون على دراية بها كل من يخوض في قضايا اللغة.

و- يستعين المحدثون بالرسوم التوضيحية لبيان الحالة التي تشكلها أعضاء النطق في صناعة الأصوات كما اِستعانوا بعلم التشريح في إبراز مكونات كل عضو، بينما لا نجد ذلك عند ابن حزم ولذلك ما يبرره عنده.

هوامش الدراسة :

الرسائل 4/ 96.1
رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، القاهرة، 1985، ص23.
حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 24
الرسائل 4/ 96.
رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، ص36
رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص27.
حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ص27.
- الجهود الصوتية عند ابن حزم، مذكرة الماجستير، ص87.
أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، لقاهرة، 1976، ص79
حسام البهنساوي، الدّراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص16.
الرسائل 4/ 96.
ينظر مذكرة ماجستير الجهود الصوتية في رسائل ابن حزم الأندلسي، بوعلي محمد، ص46.
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، القاهرة، 1970، ص13.
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات ص13 - 14.
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص15
الرسائل 4/ 187.
الرسائل 4/ 141.
حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص317
حسان تمام، مناهج البحث في اللّغة، ص93.
ينظر عباس حسن، النحو الوافي، 23/1.
الرسائل 4/ 187.
حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية، ص158.
نفسه، ص160.
نفسه، ص161.